



نسبة:

ابن القلانسي المؤرخ والأديب المنشق. حمزة بن أسد التميمي، أبو يعلى.  
من أسرة دمشقية.

مات في دمشق ودفن في سفح جبل قاسيون.

ينتمي إلى أسرة عريقة دمشقية من قبيلة تميم العربية الأصيلة، والقلانسي نسبة إلى يافع القلانسي.

حياته:

تال مؤرخنا من العلم ما توافر لأبناء البيوتات العريقة من الدراسة؛ كالآداب والفقه وأصول الدين.  
ترجم له ابن عساكر وياقوت الحموي والذهبي، كانت له عناية بالحديث، وكان أديباً له خط حسن ونشر ونظم.

من أعيان دمشق وأفاضلها، ولـي رئاسة ديوان الإنشاء (الرسائل) في دمشق مرتين، إضافة إلى ديوان الحساب (الخارج) فترة من الزمن، وكان متميزاً في الكتابتين الإنشاء والديوان.

له مصنف ثبت فيه بعض الوثائق الديوانية الواردة إلى دمشق لعجبه بصياغتها، وضمنه عدة قصائد من نظمه منها:

يا نفسُ لا تَجْزِي من شَدَّةِ عَظَمَتْ \*\*\* وأيْقَنِي من إِلَهِ الْخُلُقِ بِالْفَرَجِ  
كم شَدَّةِ عَرَضَتْ ثُمَّ انْجَلَتْ وَمَضَتْ \*\*\* من بَعْدِ تَأثِيرِهَا فِي الْمَالِ وَالْمُهَاجِ

لم يشر في كتابه إلى نفسه أو أساتذته، أو من تأثر بهم ثقافياً ولا إلى سلوكه ونشاطاته، أو صفاته الأخلاقية والخالية.  
روى عن: سهل بن بشر الإسفرايني، وحامد بن يوسف.

قال ابن عساكر: كان كاتباً أديباً، تولى رئاسة دمشق مرتين، وكان يكتب له في سمعه أبو العلاء المسلم، فذكر هو أنه هو، وأنه كان كذلك يسمى.

صنف تاريخاً للحوادث، توفي في ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

قلت: نيف على الثمانين، وحدث عنه أبو القاسم بن صصري، [ص: 389] ومكرم بن أبي الصقر، وجماعة.  
وكان متميزاً في الكتابتين الإنشاء والديوان وحمدت ولادته، وفي عقبه رؤساء وعلماء.

آثاره ومؤلفاته:

أشهر آثاره «المذيل في تاريخ دمشق» الذي يُعرف خطأ باسم «ذيل تاريخ دمشق» وقام بنشره لأول مرة في ليدن الهولندية

سمى مصنفه «نيل تاريخ دمشق» والذيل يأتي ملحاً بكتاب أساسى.

لديه نسخة خطية واحدة محفوظة في مكتبة بودليان في أكسفورد برقم (Hunt 125)، بُتر من أولها بعض صفحات، وهذه المخطوطة تحوي الكتاب الأساس والذيل، الأول من تصنيف المؤرخ ثابت ابن سنان، أوقفه على مصر والشام ووقف به على أحداث سنة 365هـ، وأتمه هلال بن المحسن بحوادث 366هـ وقف به عند نهاية 448هـ تاريخ وفاته.

بدأ بحوادث 448هـ حتى نهاية الكتاب، وتدخل بمقدمة القسم الأول فأعاد صياغتها وروايتها بأسلوبه، وحذف بعض مواده وأضاف أخرى بما تجمع لديه من مصادر ووثائق محلية.

قام المستشرق أندروز H.P.Amedroz بتحقيقه ونشره عام 1908 لحساب مؤسسة بول في ليدن بهولندا، وطبعته مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت، وقامت مكتبة المتنى في بغداد بإعادة طبعه في السبعينات من القرن الماضي ونفت نسخ هذه الطبعة، وحققه مؤخراً سهيل زكار 1983

ومهما يكن فإن كتابه في التاريخ وعمله في ديوان الإنشاء يدلان على علو ثقافته وتمكنه من ناصية اللغة، وإن شابه أهل عصره في اهتمامه بالصناعة والمتارفات، ولكنه لم يسرف في ذلك، ورئاسته للديوان مكنته من الاطلاع على الوثائق الرسمية على مختلف أنواعها.

يُؤرخ ابن القلansi لقرينين من الزمن جرت فيما أحاديث الصراع القرمطي الفاطمي على الشام، وما أعقب ذلك الحكم الفاطمي للشام، من حكم لم يعرف الاستقرار لمقاومة أهل الشام له، يروي سيرة المقاومة الشامية، وهي سيرة لشعب دمشق والشام، وسيرة لمنظمات هذا الشعب وفئاته الاجتماعية وقبائله، وسيرة لعمران دمشق وخططها.

لم يقتصر كتابه على دمشق وإنما شمل الشام وأجزاء من الوطن العربي والإسلامي، فهو يقصى أخبار المغرب الأقصى، ويقدم رواية حول المهدي بن تومرت وتأسيس دولة الموحدين، وعلى مكانة تاريخه، فإن الذي يفوقها هو ما رواه حول دخول الشام تحت الحكم السلاجوي، والحروب الصليبية في أثناء الحملتين الأولى والثانية، أحداث عاصرها وكان شاهد عيان لها، ولأهميتها من وجهة نظر عربية صريحة ومنصفة ومعتدلة ترجمت إلى الإنكليزية والفرنسية.

وتاريخ القلansi أو ذيله يتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفاروقي، وسبط ابن الجوزي، والحافظ الذهبي، وأعتقد أن الذي قام بهذه الاختيارات ناشر الكتاب وليس ابن القلansi؛ وذلك لأن ابن الجوزي مثلاً استفاد من تاريخ القلansi.

تولى الكتابة من ديوان الرسائل حتى صار عميداً له، وولي مرتين منصب رئيس المدينة (مدينة دمشق كمحافظ لها)، ومات سنة (555هـ=1160م)، بعد أن تجاوز التسعين من عمره.

و«نيل تاريخ دمشق» هو الكتاب الوحيد الذي ألفه ابن القلansi.

وعنوان الكتاب يدلنا على أن المقصود منه أن يكون ذيلاً على كتاب هلال الصابئ في التاريخ الذي يقف فيه عند سنة (448هـ=1056م).

ووجه الاختلاف بينه وبين هلال الصابئ، أن ابن القلansi أولى معظم اهتمامه بدمشق والشام، فضلاً عن الإشارات إلى ما يجري من أحداث في بغداد ومصر، على حين أن هلالاً عالج التاريخ العام.

ويتناول ابن القلansi دراسة فترة تزيد على قرن من الزمان وتنتهي بوفاته سنة (555هـ=1160م) والراجح أن ما تهياً لابن القلansi من الوسائل بفضل اتصالاته الرسمية والأفراد الذين يلتقي بهم، فضلاً عن المشتركين في الأحداث، وعلى الرغم من أن اقتباساته من الوثائق قليلة، فإن مارته تحمل طابع الوثائقية.

والراجح أنه كان يبادر إلى كتابة ما يبلغه من الروايات أولاً بأول ثم يراجعها فيما بعد.

ومن خصائص ابن القلansi أيضًا ما التزمه من الدقة في ترتيب الأحداث من الناحية الزمنية.

وفي ذلك يقول:

"انتهيتُ في شرح ما شرحته من هذا التاريخ، ورتبته، وتحفظت من الخطأ والخلل والزلل فيما علقته من أفواه الثقات، نقلته وأكبت الحال فيه بالاستقصاء والبحث".

ويعتبر تاريخ ابن القلansi من أهم المصادر الأصلية التي أفاد منها من جاء بعده من المؤرخين المسلمين؛ أمثال: سبط ابن الجوزي، وابن الأثير صاحب الكامل، وأبي شامة، ويصح للباحث أن يرتكن إلى تاريخ ابن القلansi كي يعرف نمو وتطور إحساس المسلمين نحو الصليبيين، وما كان من روح الجهاد التي بلغت الذروة زمن صلاح الدين، ويشرح ما كان عن علاقة دمشق السورية وإمارة بيت المقدس الصليبية، ونشاط المصريين ضد الصليبيين، وما كان من علاقات وثيقة بين دمشق ومصر زمن الفاطميين، كل ذلك يجعل لهذا الكتاب أهمية كبيرة في دراسة الأوضاع الداخلية بالشام، وحركة توحيد الجبهة الإسلامية ومقاومة أعداء الدفاع عن الصليب.

هذا؛ وقد قام الأستاذ: (h.a.r.gibb) بترجمة ما يتعلق بالحروب الصليبية من فقرات، وأورد مقدمة طويلة كي يُعرف بكتاب ابن القلansi، وشرح أحوال الشام قبيل الحروب الصليبية في كتابه بعنوان: The Damascus Chronicle of the Crusades. London 1932.

- •
- قصة الإسلام
- المكتبة الشاملة
- الوعي الإسلامي
- المعرفة

المصادر: